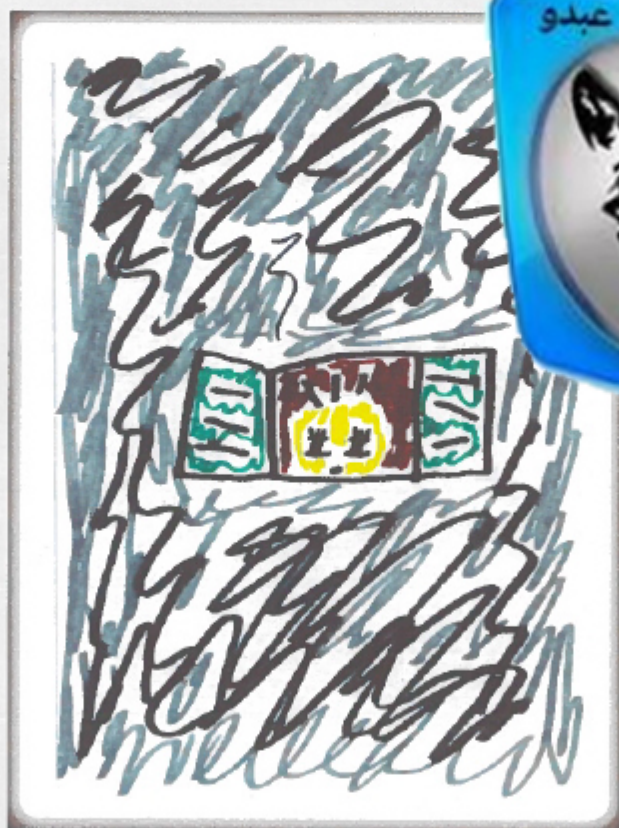


S A A D I

إذا أعجبك الكتاب، فرجاءً حاول أن تشتري النسخة الورقية.
تذكر أن الكتاب العرب معترّون والكل يستوطني حيطهم
دعمننا لهم يضمن استمرار عطائهم.
(أبو عبدو)

لسعدية مفرّح توافعت أحلامي كثيرا

ABU ABDO ALBAGL



تواضعت أحلامي كثيراً / شعر عربيّ
سعدية مفرّح / مؤلفة من الكويت
الطبعة الأولى ، 2006
حقوق الطبع محفوظة



المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المركز الرئيسي :

بيروت ، الصنابع ، بناية عيد بن سالم ،

ص. ب : 11-5460 ، العنوان البرقي : موكيالي ،

هاتفكس : 752308 / 751438

التوزيع في الأردن :

دار الفاراس للنشر والتوزيع

عمّان ، ص. ب : 9157 ، هاتف 5605432 ، هاتفكس : 5685501

E - mail : mkayyali@nets.com.jo

الإشراف الفني :

سماية®

لوحة الغلاف :

سوزان عليوان / لبنان

الصف الضوئي :

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

التنفيذ الطباعي :

مصطفى قانصو للطباعة والتجارة / بيروت ، لبنان

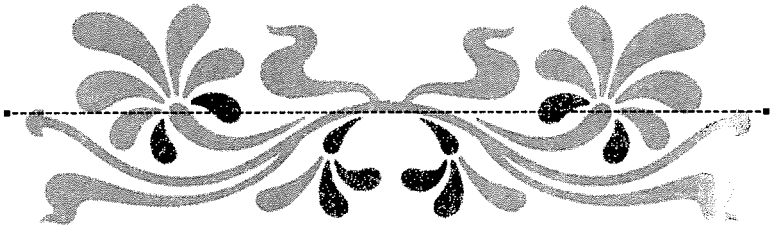
All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال ، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

ISBN 9953-36-892-9



سعدية مفرح



تواضعت أحلامي كثيرا



الإهداء :

.....

(سأملأ الفراغ يوماً!)

«هناك من لا يستطيع أن يلهو إلا وهو
في قطع .. البطل الحقيقي يلهو
وحيدا» .

شارل بودلير/ اليوميات

تواضعت أحلامي كثيرا

: ١

أريد مجرد جناحين
أو يكفّ روعي عن توفقه للطيران .

: ٢

أريد أن أصرخ كل صرختي
دون أن أنتظر سؤالا ما .

: ٣

أريد أن أتخلص من كل ما يعيق دمعتي
عن هدفها المؤجل
أو نقطتها الأخيرة على السطر .

: ٤

أريد أن أغني
دون أن أضطر لتأليف كلام
أو أرتجل لحنا
أو أرفع صوتي .

: ٥

أريد كرة أرضية
أرسم خريطتها
وفقا لتضاريس وجهي
وأشق أنهارها وبحارها
على طريق دمعتي .

: ٦

أريد كرة أرضية أخرى
أخبئها في صدري
كلما أردت الخروج من البيت

دون عباءة .

: ٧

أريد شجرة تغني
وعصفورة تهادن الريح
وبحرا يكتب مذكراته كل فجر
وجواز سفر صالحا في كل المطارات .

: ٨

أريد مظلة مزينة بقرنفلة
وكتابا مفتوحا على الفهرس
وأصابع تجيد نقر لوحة المفاتيح .

: ٩

أريد مجرد منخدة مريحة
وأحلاما تسيّر أحداثها
وفقا لسيناريوهات المرسومة سلفا .

: ١٠

أريد حكايةً قديمةً بنهايةٍ سعيدةٍ
أحكيها للصغار
وأشير لصور أبطالها في ألبوم العائلة .

: ١١

أريد مجرد إطار بسيط وجميل
للوحة بدائية رسمتها بالقلم الرصاص
ولونتها بالألوان الخشبية ...
كي أهديتها لصديقتي البعيدة .

: ١٢

أريد أن تتسع غرفتي
لتحتوي كل كتبي الكثيرة
أو تصيبنني نوبة جنون
فأحرق هذه الكتب .

: ١٣

أريد ذكرى حلوة

ويقيننا شعريا ..

ونهارا جديدا .

: ١٤

أريد كسرة «عود»

أضعها على جمرة متوقدة

فيفوح العبق المعطر

بينما أشرب قهوتي الصباحية

دون أفكار مسبقة

لبقية النهار .

: ١٥

أريد غواية جديدة

لأيام فقط .

: ١٦

أريد فيلما بالأسود والأبيض

أغني مع بطلته

أتخيلني بكنزتها الضيقة

وتنورتها الفضفاضة

أمسح دمعته

وأضحك على سذاجتها

حتى أبرر سذاجات تاريخي كله .

: ١٧

أريد أغنية هادئة

للليل

ساهرة عيونته .

: ١٨

أريد نهارا طويلا ومزدحما

برائحة البحر والرمل

و عوادم السيارات
وبقليل من المكالمات المفقودة
في هاتفني النقال .

: ١٩

أريد نهارا قصيرا جدا
يكفي لكتابة قصيدة
أكتبها كما أشتهي
على مهل
دون رتوش
ولا مسودة .

: ٢٠

أريد ليلا قصيرا
مؤطرا بالهدوء
ينتهي بموتٍ
لا يعني أحدا .

: ٢١

أريد ليلا طويلا
أعني طويلا جدا .

: ٢٢

أريد أن أحيا
دون أن يكون ذلك قدري الأزلي
حين تعز الخيارات .

: ٢٣

أريد أن أموت
دون أن أضطر لذلك ..
أحيانا .

: ٢٤

أريده فقط
ما هو؟

من هو؟
لا أريد الإجابة على أية حال .

: ٢٥

«لنا الصدر دون العالمين

أو القبر»

نعم . . .

لهذا المتواضع كل الصدور حتما

وليترك لي قبرا صغيرا

بنافذة واحدة

على الأقل !

مفازة تنتشي بالكلام

: ١

للکلمات صوتها الرخيم
لها صورتها الملونة
وتفاصيلها الدقيقة
ولها أيضا شاطئ ساحر
تستلقي على رمالها وتذكر ماضيها السحيق
وتغني أيضا
للکلمات قلبها الرؤوم
وذاكرتها الشيطانية
للکلمات ملامحنا عندما نمارس الصمت .

: ٢

تتهاوى الكلمات نجوما في ليل الكتابة
تتهاوى أقمارا في ظلام النصوص
ترقص فوق الورق
وتهمس في قاع الروح
وتصير قصيدة تغنيها .

: ٣

شجر في غابة كثيفة
يرتوي من ظلام سحيق في الأرض
ويتشمس من سماء سحيقة في علوها
هذا الكلام الذي أكتبه الآن
دون أن تكون قارئه الأول .

: ٤

كلمتي الأولى
صوتي الأخير

كلمتي الأخيرة
شجرةً في صحراء المسرة
غايّتي كلمةً ما
في صحراءٍ ما
غايّتي شجرةً مسرةٍ
في صحراء العدم .

: ٥

للقصائد دهشتها المنتهية
ولها دهشتها المتناسلةُ
من بين الأصوات .

: ٦

غربةً كلمةٍ
ملأت صباح المدينة
بهذا الضباب المهيم
صارت دمعا في الظهيرة
وكان المساء ندى وقصيда .

... وكأنها سترحل بعد قليل

١ :

و كأنها سترحلُ بعد قليل
مشغولةً باختيارِ أجملِ أثوابها
تضع مساحيقها الملونة على وجهها بإتقان
وتراجع مكالماتها المفقودة
في هاتفها النقال
قبل أن ترحل بعد قليل .

٢ :

و كأنها تعد وجبة غداء معتادة
تكتب قصيدتها الميئة
قبل أن تغنيها بلحن شهير .

: ٣

وكأنها تعرف مزاجَ الخليج

تمزج دهشتها

بملحِ الرطب

وترسم بيتها الصغير

صخرةً من صخورهِ الرمادية

بمزاجه المحتمل .

: ٤

لمن يصنعون اللغة

وينخترعون مفردات جديدة

تتماوج أحرفها على أنغام الموسيقى

وترقص حركاتها بين تفعيلات الوزن

واقترحات القافية؟

لمن كل هذا الكلام؟

.....

لمن يبرون أقلامهم الرصاص

ويبحثون عن صفحات بيضاء

كلما بَدَتْ لهم؟

: ٥

بلمسة ما

تستطيع إعادة تكوينه منذ ما قبل الخليقة

حتى اليوم الأخير

دون أن تترك للفلسفة فرصة

لتبرير الوجود .

بلمسة أخرى تملأ أحاديث البهجة

باقتراحات سرية لرحلات

لا خرائط لخط سيرها .

: ٦

وكأنها تعيد ارتكاب الجريمة الأولى

تضع زينتها

ترسم محيطَ عينيها بالقلم الأسود

وتطلي شفيتها بأحمرها المفضل
وتغادر غرفتها محتشدة بها جس الجريمة
والإثم القديم .

نبذة صغيرة رأيتها هذا الصباح

١ :

كل يوم ابدأ رحلتي في ذات الشارع
أعد بلاطات الرصيف مع كل خطوة
وقبل الوصول بقليل
يتشابه عليّ البلاط
فأبدأ العدّ من جديد .

٢ :

كل يوم أرسّمُ شارعاً جديداً
أظللُّ امتداده بالنخيل
ألون رصيفه حجراً حجراً
أسويّ إسفلته بحنين أصابعي

وأروي حشائشه بفيض قصيدي
أتمه خلواً من أي إشارة للمرور .

: ٣

كل يوم أقابل أناساً متشابهين

يتزايد عددهم

كلما أوغلتُ في شارعِي

وتتطابق ملامحهم

كلما اقتربتُ من خط النهاية

وعندما أصل

أصل وحدي

بلامح تشبههم .

: ٤

عشرون عاماً

عمر شارعِي الأثير

عمرِي في شارعِي الأثير

عمرنا معا
عمرنا الأثير .

: ٥

نبته صغيرة
رأيتها هذا الصباح
تسلقتُ جذع النخلة الموازي لإشارة المرور
خذلتُ فضولي المتلاشي
فابتسمتُ لخضرتها الفتية .

: ٦

نبته صغيرة رأيتها هذا الصباح
بحثتُ عنها غدا
دون جدوى ..
دون جدوى حتى اللحظة على الأقل !

: ٧

نبتة صغيرة

رأيتها هذا الصباح

لم أعرف اسمها ...

لكن أوراقها الخضراء

اقترحت لها حياةً فائضة

وأسماءً مغربية .

: ٨

للشوارع تقاليدُها الخفية ..

ولها إعلاناتها المبتكرة

ولها الشجرُ المراعُ بين بين .

عصفورة

: ١

مَشِيَّتُهَا الْأَنْيَقَةُ

في ظل إشارة المرور

أنبأتني أنها ما زالت تبحث عن رفيقها

في رحلة طيرانها المقبلة .

: ٢

نظرة مغوية

فالتفاتت خاطفة

نظرة ذاهلة

فالتفاتت غائمة

نظرة ساكنة

فالتفاتةً مستكينة ...
نظرتُها للقفص الصغير .

: ٣

رفرفتُ بانتباه
رفرفتُ وطففتُ
فوق سطح الخليج
دمها منسربُ
وأغنيتها غائرةٌ في المياه .

قهوة وبريد

١ :

الرسائلُ وحدها
تستطيع اقتراح النهايات
وحدها تملك تلك الشجاعة الخرافية
الرسائل الكاذبة وحدها .

٢ :

الرسائل وحدها
لا تستطيع اقتراح البدايات
لا تستطيع التقاط لحظة البكاء الحبيس
ولا الضحكة المكتومة
لا تستطيع البوح بنبض الكائنات الرابضة

في الأكف التي التقت توا
للمرة الأولى .

: ٣

في الرسائل وحدها
تمارس شجاعتنا المتمناة
دون خوف من دمعة مفاجئة
تستطيع تغيير الخططة المرسومة سلفا
في ثانية واحدة فقط .

: ٤

في الرسائل وحدها
نضع نقطة في آخر السطر
ونبدأ فقرة قديمة .

: ٥

سأدرك بعد فوات الأوان

كم هي لثيمة

فكرة الرسائل المتأخرة

وكم هو رحوم

ساعي البريد الكسول .

: ٦

كيف لي أن أشم رائحة الدخان المستكينة

على الورقة المطوية ؟

كيف أتم رسومات الهامش الكاريكاتورية ؟

كيف أخمن المشطوب

في سبيل حساب أت ؟

.....

شكرا أيها البريد الإلكتروني

أنك أتيت متأخرا .

إلى حد ما ! .

: ٧

مثل فنجان قهوة صباحي
أفضلُ شربه على مهلٍ
بقيتُ نكهةُ الرسالة الأولى
وتلاشى خدري اللذيذُ
بحضورها .

: ٨

مثلما أشربُ فنجانَ الظهيرة
قرأتُ الرسالة الأولى بسرعة
رغم أنني لم أكن أعلم أنها الأولى
رغم أنني لم أعرف مرسلها إلا بالحدس
مثل فنجان قهوة أقلبهُ
لأقرأ المستحيلَ في رواسب قاعه
قرأتُ الرسالةَ المجهولة
لأتمنى ذلك المستحيل !!

: ٩

مغلقة بعطر قهوة الساعة الخامسة مساءً
بقيت الرسالة الأولى
بتوقيعها المجهول
وتوصيفاتها الظريفة
وإشاراتنا الذكية
وسحرها المكمّل غموضاً
في قاع الدرج الأخير
اقتراحاً أول
للخروج من قاع السكينة .

: ١٠

للسائل المتأخرة
رائحة القهوة الباردة
بلا نكهةٍ
بلا طعمٍ
لكنها قهوة !

: ١١

لماذا الشعر وحده

الحل المقترح

لتشذيب حشائش الفيزياء؟!

ولماذا الفيزياء وحدها

قادرة على تفسيرنا؟!

الشعر والفيزياء عناوين رسائلي المتبادلة .

: ١٢

في حروب الآخرين

أنتمي لوجودي الجديد

أرتوي من شعوري الجديد

وأتابع أخبارها بشغف

وعلى هامشها

أبعث رسائلي الصامتة

جدا!

: ١٣

قبل نهايتي بقليل جدا

تحققت أن رسائلي

قليلة جدا .. جدا ..

لكنها لحسن الحظ

تكفي جدا ! .

«الحب .. كده»

١ :

البدايةُ ذاتها

تتكرر كل مرة

كلما أردتُ أن أبكي

كلما تذكّرتُ مشهدا منسيا من طفولتي

كلما تركتُ قلبي على مقعد يرقب ما يجري أمامه

ويبتسم ساخرا من حذري المبالغ فيه

كلما استمعتُ إليها تغني «الحب كده»

نعم ..

البداية ذاتها بالضبط .

: ٢

البدايةُ ذاتها

تحاول أن تصلَ للنهاية

كلما كتبتُ قصيدةً جديدةً

بلحنٍ راقصٍ دون وزنٍ أو قافيةٍ

كلما رسمتُ بالقلم الرصاص

بيتا صغيرا

تنحني فوقه نخلةً

ويسيجُّه سلكٌ شائك

.. نعم

البداية ذاتها بالضبط .

: ٣

مثل نبيِّ بلا نبوءة

مثل بحرٍ يبحث عن سواحله البعيدة

مثل قصيدة غير مكتملة

مثل لصٍ نبيل

مثل رسالة حبٍ أولى

جاء !

: ٤

رَسَمَ نخلةً على جدار قلبي

ومضى يهزها

لعل قصيدي يتساقطُ رطبا شهيا

فتساقطُ

وبقي قصيدي معلقا على جدار القلب .

: ٥

في ردهةِ صوتهِ

المراوح بين الغناء والبكاء

تتعلم تلك الحمامة المغوية لحنها الأثير

قبل أن تفر فرازها الأخير .

: ٦

في تجاويف صوته المغتسل بالدموع القديمة
تتمشى فتيات الليل
يرتلن آيات الفضيلة
ويرتجفن رهبة .

: ٧

في بقايا صوته المرتل
ضحكة غريبة
تستدرج الفرح الضال
بسيولِ الدموع

: ٨

في نهايات حواراته الطويلة
اقتراحات سرية
لبدايات عفوية
وإضافات غير نهائية

وأشجار تدلي ثمارها
من وراء سياج الكلام ..

: ٩

كلما اندلق الحرفُ الأول من اسمه الغريب
في صحن الأحاديث العائلية
نبتتُ في قلبي
شجيرةٌ جديدةٌ
للذهول
بانتظار سُقيا الحلول

: ١٠

لسيجارته المشتهاة
غوايةُ البداية
ولرائحتها
اعتذارات الضالين
لعبقها في نسيج دهشتي

حكمة الغيم
في سماء الشتاء ..

: ١١

تذكرتُ اللعبة الموغلة في حداثة المعنى
تذكرتُ رواج الكلمة
وأغنياته ذات اللحن المرتجل دائما
تماديتُ في غيِّ التذکر
وكان الكلام وحده يملك مفتاح الذاكرة .

: ١٢

في بقايا البحر
مستقبلٌ لصحراء
في بقاياي
رائحته
كأنها البحر
كأنها البقاء !

: ١٣

صغيرٌ أنت أيها العالم
في طرفك البعيد جدا
تنمو حشاشةٌ روحي
بين ثلوج و غياهب الغموض
في أزقةٍ لم أرها أبدا .
صغير أنت
صغير جدا ..

: ١٤

هل قلتها له بالفعل ؟
لماذا لا أتذكر شكلَ المكان إذن
ولا رائحة الأرض
أو لون الهواء
... لحظتها؟!!

: ١٥

تَبَارَكَ الْكَلَامُ

تبارك الكلام وأيقظ دمي

تباركتُ بالكلام

في طريقي إليه

: ١٦

تذكرتُ الرائحة الأولى

حيث غابة لم نرها

وشواطئ لم نحصِ حباتِ رمالها

وقوارب بعيدة مضت دون أن نلوح لأشروعها الظليلة

وحيث كلام لن نقصدَ كلماته كلها

وحيث لا شيء ... لا شيء ...

: ١٧

تذكرتُ المقالةَ الرثائية التي كتبناها معا

رثاءً للرجل القليل

بقلم واحد ..
على ورقة واحدة
وعبر دمة واحدة
دمة بكيناها بذهول التنبؤ
رثاء للذي بيننا
عندما سيكون القَتِيل ! .

: ١٨

كلما فاجأتني تُغني «ظلمنا الحب»
فاجأتُ ذاكرتي تبكي جحودي
كلما ردّدتُ كلمات المغنية العظيمة
فاجأني صوتها مهيمناً في فراغ الروح
كلما سمعتها
رجّحتُ أنه وحده يسمعي
في صوتها الرخيم

: ١٩

وشاحٍ حريري

ليس كل ما تبقى لي

من رحيق الهدايا الأثيرة

لكنه الأذكي

في انتشار الصوت المشرع

نحو فضاء من الحزن الموروث

والأرقّ

في عتابي على ذنوب مشتركة

والأعنف

في عقابي على غلطات

لم ننجح في أن نجعلها مشتركة

وشاحٍ عنوانه

في خزينة الصيرورة الفاتنة ...

ينام في فضاء الحقيبة الأنيقة السوداء

ويتباهى عليها

بتلك الرائحة التي ما زالت

تحتفل بلحظة تكونها بيننا
ذات صباح .

: ٢٠

سأحبك أكثر أيها القصيد
سأكتبك كلما انتشيت
وسيقروك الرجل البعيد وحده
ويقول :
يا الله .

مرحبا

١ :

« مرحبا »

بلكنة الفضاء المشاع

وبتركيز ممتع على ميم البداية

تَعَقِبُ الـ «الألو» العبقرية الأولى

الرتابةُ في فوضاها

والغناءُ في مفازة البكاء

كلُّ مكاملة

كلُّ مكاملة

٢ :

«مرحبا»

رشيقة كخصر عجزية

مبتهجة كصوت عجزية
ومفتعلة كفرح عجزية
مرحبا .. أيها الـ «مرحبا»
مرحبا ..
مرحبا ..

: ٣

مرحبا
تعقبها ضحكة البائسين
ضحكة الضالين
في حداثق اللذة
وأراضى الحنين

: ٤

مرحبا ...
مفردة الحياد
وغواية البداية

واقترحُ للبقاء
في مفازة الكلام ..

: ٥

مرحبا ...
المفردة المفردة ..
المفردة المفردة ..
لا جمع أكثر اتساعا ..
لا مفردة أوسع جمعا ...

: ٦

ضحكةٌ محتشدة
بالكلام الخبيء
تحيثني عقب نكتة مخترعة
أضحكُ فرحا
بالضحك المحتشد
وأنتظرُ الكلام .

: ٧

ضحكة تُسوّر قلبي بظنونها
تأسر سرّي برنتها
تدندن لحنها وتعزفه على أوتار روحي
حروفاً مبتكرة
وأصواتاً لا نهائية
وموسيقا
محض موسيقا

: ٨

للضحكات الفجائية
قوانينها الفجائية ..
ولها رنتها المتوقعة دائما ..
وفي طرفها
تلك الخضرة المشعة بالشمس
وشمس إضافية .

لهشاشة المشهد بيننا ..

: ١

صورةً بالأبيض والأسود
أرّمُ ما تبقى من فضولي تجاهها
وأضعها في إطار جديد
تتنافرُ الخطوط
وتبكي الملامح
بدموع معدنية !

: ٢

صورةً بيضاء
مطرزةً بالغيوم الصيفية
والأرانب البرية

والشرايط المزينة لجداول التلميذات
وأكوام من السكر اللامع
وخيام على أطراف صحراء ربيعية
وبيضة وضعتها حمامة للتو
قبل أن يتعالى هديلها
ورسالة مضمخة بعطر الاعتراف الذاهل
في الصباح القديم .

: ٣

صورةً سوداء
حياةً سماوية
بنسختها السالبة .

: ٤

صورةً ملونة
دهشةً الأعين فيها
تكاد تفضح سرّ المكان الأليف

وحركة المصور خلف العدسة
والضحكة المكومة بين زواياها
تشير للزمان العنيف بإصبع
وتحتفي بقية الأصابع

: ٥

صورة واحدة

مهترئة لفرط ما تداولتها الأصابع العشرة
هي ما تبقى من ذكرى اللقاء
الوحيد أمام الكاميرا اللاهية
حيث الأصدقاء يحتفلون بمناسبة ما
واللذان يبدوان على هامش الصورة
يغتزمان الفرصة للضحك المشترك .

: ٦

الآن فقط

أتذكر كل اللقطات الممكنة

التي لم تلتقطها عدسة ما
فبقيت صوراً قابلة للتحقق
كما أشتهي
لا كما احتواها المشهد القديم .

: ٧

صور غائمة
صور مشرقة
صور سالبة
صور موجبة
صور كثيرة تزدهم بالبشر
صورة أثيرة واحدة
ممعنة في الغياب .

: ٨

شاغلتنني الصور
شاغلت وجودي الحقيقي

لصالح وجود افتراضي مطبوع على الورق
له بهاؤه البين
وخداعه الخفي .

: ٩

أربكتني الصور
بخلفياتها المتشابهة
رغم شخصياتها المتنافرة
والتواريخ المطبوعة على ظهرها بتتابع دقيق .

: ١٠

ملأتني الصور
رسمت خرائط بقائها في البومات متشابهة
وسيجت بعضها بإطارات أنيقة
علقتها على جدران غرفتي
وأبقيت جدران روعي عارية .

: ١١

أذهلتني الصور
حيث الآخرون المتباهون بمجدها الموروث
وألوانها الفاقعة
وتوارىخها المزورة .

: ١٢

صورة أنيقة تبدو وكأنها عفوية
رغم أنني أعرف تاريخها المفتعل
فاجأتني في إحدى المجلات
موقعة بذلك الاسم المذهل
فتذكرتُ أنني بكيت كالنساء
رجلا لم أحافظ عليه كالنساء
وبقيت صورته أيقونة للبكاء .

: ١٣

صورتني ..

موقعة باسمه الأول
أبدو فيها بعينين متسعتين
وجبين مقطب
وفم مفتوح دون ابتسامة
ودهشة لا أتذكر معناها .

: ١٤

صورتني
بألوانها الشاحبة
وتاريخها البعيد
وفرحتي الأكيدة
بمقامها الأول في محفظته الجلدية
سؤالي المباغت عن عنوانها الجديد .

: ١٥

صورتني ..
بلامح إلكترو

المُستلَّة من زمان تتذكره العجائز
ويبتسمنَ بأسى غريب .

: ١٦

ليست ملامحي
هذه التي تؤثثُ المشهدَ اللامع
وليست ابتسامتي
هذه التي اقترحت لحجم الصورة عرضها
أنها ما اقترحته الكاميرا
لكنها صورتي ...
أعرف هذا
أعرفه جيدا وكثيرا .

: ١٧

للصور مجدها الأنيق
وألوانها المتنافرة حياة وموتا
وحياتها المتجمدة في لحظة مضت

كأنها الموت .

: ١٨

للصور قصيدة دون كلمات

وموسيقا فائضة بالحنين

وصوت مرتبك

وخضرة مطلة من شرفة عالية جدا

ولها ..

شغف ما .

: ١٩

لهشاشة المشهد بيننا

مشهد لا تغيب تفاصيله

أبدا .

قطعة خرفية جميلة

١ :

يرمقني منتصرا

لرغبته الأكيدة

في الخوض بطيني البشري

يبتسم لاقتراحاتي العلنية

لكنه يغسلني بمطر دموعه

كلما لاحت أمنية خبيثة في زاوية الكلم

فيعدني بالمستحيل

وأصدّق

دون سبب مقنع

دون حقيقة واحدة

: ٢

قلت له أنني أحبه

فابتسم بنجمل

ونظر للقطعة الخزفية الجميلة وهو يقول

: انظري . . . رائعة

كان يحب القلط الخزفية الصغيرة

ويكره الاعترافات الكبيرة

لكنه على أية حال

ظل مبتسما لي

حتى وأنا أنكس رأسي خجلا

: ٣

مثل صحراء

مثل جزيرة

مثل هدأة ليل

مثل لحظة عناق دامع

لا يجد كلماته المناسبة

لا يجد كلمات .. أي كلمات

كي يملأ بها

صمت اللحظة الملتبسة

: ٤

القطب الشمالي ؟ ...

يحدثني عن نهاية العالم إذن ...

وكأنه يحاول رسم المشهد القديم

بألوان جديدة ...

لكنني مؤمنة أن لكل مشهد ألوانه

المخلوطة من تراب زمنه

ونسف يومياته

: ٥

حديثه عن الثلج

أثار شجوننا كامنة في القاع ..

ربما تحتاج لمثل هذا الحديث بالذات

كي ثور ،
كقصائده القديمة ،
كيوميته المسكونة بالقلق ،
كبراكينه الافتراضية ،
وربما كي تنتحر شوقا
للغياب الذي يسمى الموت .

: ٦

أسميته الرجلَ المستحيل
لعله لا يتحقق أبدا
ولكنه راود أمنياتي المستحيلة
وصار واقعي الكبير
ميتا وبقينا
وذاهلا عن سيرة مهشمة .

البطل الحقيقي يلهو وحيدا

١ :

أي مزاج يمكن أن تسيل فكرة الكتابة على ضفتيه
دون أن يتباهى بالتحقق
دون أن يتكون فكرةً فكرةً
وأغنيةً أغنيةً
ودمعةً دمعةً ؟
ودون أن يلون أمواجه بالذهول ؟

٢ :

كما يحدث دائما ..
أغرق في لجّة الكتابة
فأنساها ..

أتواري بين الأوراق
فتبيضُ مفرداتي
أحاول أن أتذكر حلم ليلة البارحة
لأكتبه بتفاصيله الملونة
فتفاجئني أحلامُ اليقظة بلونها الوحيد
كما يحدث دائما .

: ٣

في مغارة الألم
كانت الخطوة الأولى
على هامش اليتيم المبكر
درجت بقية الخطوات
شمالا نحو الغياب
جنوبا نحو السراب
لكن الخطوة الأخيرة
تظل مبتسمة لمجهولها البعيد

٤ :

نصنع الوهم

ويصنعنا الحلم

وبينهما تتكون أيماننا المقبلة

على مهل يليق بمن يؤدون مهماتهم

في الحياة برصانة وجدية ووحشة أيضا .

نصنع الوهم

بكل ما أوتينا من رغبة في البقاء

على حافة الماء

ويصنعنا الحلم

بكل ما أوتينا من رغبة

في ولوج لجته

ذات ظهيرة قانظة

حيث الخليج بأواجه الشامتة

وشواطئه المندهشة

ورماله التي فقدت رغبتها

بأن تكون عنوانا لقصيدة حدثية .

: ٥

كلهم يريدون
كلهم يحاولون استغلال ما يعرفونه
من نقاط ضعف في شخصيتي
يراكمونها ..
يكرسونها ..
ويعدون يدهم لاستحلاب ما تبقى
من جثتي التي تعفنت
على مذبح شهواتهم

: ٦

«هنالك من لا يستطيع أن يلهو إلا وهو في قطع ... البطل
الحقيقي يلهو وحيدا»
عبارة قرأتها البارحة بتوقيع بودلير ...
وما زلت أتساءل :
هل أنا في قطع ؟
هل أنا وحيدة .. ؟

هل أنا ألهو؟

هل أنا .. أنا؟

:٧

عتمة تلف غرفة روحي

منذ البارحة

عتمة جبارة تمارس جبروتها

رغم كل محاولاتي

لعرقلة محاولاتها

عتمة سادرة في الظلمة والظلم

تضحك بقسوة

كلما غافلتها

وحاولتُ فتح النافذة .

أربع شرفات منسية

(١) :

شرفة أذهلت المارين

بنبتتها المتدلّية

وكلام أخضر يسيل على جدرانها

كل ليل !

(٢) :

شرفة أخرى أذهلت المارين

بالنبته الصاعدة إليها

وكلام أخضر يتسلق جدرانها

كل ليل !

(٣) :

شرفة ثلاثة

رسمتها الصغيرة في كراسة الرسم
ولونتُ سياجها وستائرهما وبلاط أرضيتها بالأخضر
لكنها مزقت الورقة
قبل أن تكمل أغنيتها الخضراء

(٤) :

شرفة رابعة احتفت بصباحها الجديد
غمزت للمارين تحت سياجها
بعطر منسي من ليل البارحة
وبقايا أغنية قديمة
وكثير من البكاء المكتوم
قبل أن يغلق زجاجها المشرع
صهدُ الظهيرة القائظ .

لوحتان وحلم

١ :

لأثري ذاكرتي الفقيرة

سأرسم بالقلم الرصاص

كوخا

تنتصب أمامه نخلةً مثمرة

وترعى حوله بعض الأغنام البيضاء

تحديدا

وسأترك لوحتي خالية من الألوان

وأعلقها خلف باب غرفتي الصامتة

٢ :

لأثري ذاكرتي الفقيرة

سأزرع نبتةً جديدةً هذا الصباح
وربما أكتب قصيدةً جديدةً
ولكنني بالتأكيد
سأحكي للرجل الذي يجيد الإنصات إليّ
ما رأيته في منامي
الليلة البارحة .

: ٣

هل حلمتُ البارحة بغيمة سوداء
تطرنني بقصائد نسيتها عند يقظتي ؟
أم أن غيمة سوداء حلمتُ البارحة
أنها شاعرة تنسى قصائد الليل
كلما استيقظت من النوم؟

للعيد نكهته الأخرى

. ١

علبة مليئة بالمسرات المعتقة
تنفتح كلها في لحظة واحدة
ليتشاركها الجميع
حتى لا يشعر بها أحد!

. ٢

على موسيقى تشايكوفسكي
يتهادى فرحي الليلي
ياخذني من يدي
نحو ممرات سرية
ثم يسقطني في بحيرات غير مكتشفة

أرقص في فيض مياها
كأنني البجعة الوحيدة في العالم .

. ٣

سرّني أن يأتي غرةً
حاملا في جيبه الشكولاته التي أفضلها
مبشرا بحنين أت
وشكولاته ألد
في عيد سنخترع تاريخه معا .

. ٤

في ظلمة دامسة
أتتبعُ خريطة قلبي
بأصابع من نار
في نهارٍ ممطر

أرسم خريطة أخرى
بمياه المطر على أرض عطشى
وأسميها عيداً سعيداً

. ٥

في هذا العيد تحديداً
كان للهواء رائحة الشجر المحترق
وطعم الشوكولاته
ونكهة القهوة المرة
وسيرة الغياب!

رسائل هاتفية قصيرة

(sms)

: ١

المعاني الحقيقية لا تحتاج إلى

أوعية لغوية

أو صوتية

لا تحتاج سوى أن تكون .

: ٢

أشعر به كلما سمعت خبرا

يحتاج تعليقا فوريا

أو أغنية جديدة

أو قصيدة تافهة

أو صوتا يشبه ذلك الصوت الذي
خلقني امرأة
ذات صباح .

: ٣

أهيم في شوارع كينونتي
بحثا عما يليق بماضيها
الموغل في بدائيته
أتمشى دون خريطة
أكون علاقات مفتعلة
مع الرمل والإسفلت
ويسيل إيماني الموروث
على الرصيف
شهيدا
موغلا في عدميته

: ٤

غياب يذهب بنا نحو الأقصي

يراودنا عنا يقيننا

يودي بنا إلى مهاوي الحياة

وينتصر بالجدل

أخيرا

أخيرا .

: ٥

كان عليّ أن أمترس وراء غضبي

أسيّج جسدي بعنف متراكم

أصنع لأطرافي قيودا من غلو

وأضع أقفالا حديدية

على أبواب القلب المشرعة

وأنتظر أغنية تتسلل

كان عليّ . . .

نعم كان عليّ .

: ٦

كان أمامي أن أغزل فضة صمتي
بيتا وصغارا لا يشبهونني
لكنهم سيغزلون فضتهم ذهباً
ويغادرون .

: ٧

أمام مرآتي تتشظى قصيدي
وتصير أنية للدم المتناثر
أمامها أشظي
ويسيل دمي
لينذرني بأوان القصيدة .

: ٨

أمام مرآتي
تتجلى حكمة الأشياء
وتنتحر التعاليم السافرة

أمام مرآتي
تراوح أفكار الموت
مكانها القديم
وتنتشي بالوجودية
أمامها
أكون أو لا أكون .

: ٩

لغضبي سورته الكامنة
نارا تَلْظَى
وله صورته المزورة
ابتساماً ورضى
وله سياجه
من الصلوات والدعوات
التي لا تغادر اللسان
ولا تبرح سجادة الصلاة
لغضبي ..

فتنتني
ومماتي .

: ١٠

يرتوى صمت هذى الصغيرة
بالسلسيل الجليل
كلما رسمت بحيرتها المفضلة
في غياب أمها
على بياض صحنها الصيني .

: ١١

يطفو على ماء الثقة
يلتمع تحت شمس المحبة الدافئة
فارغا من دهشة المعنى
ومدهشا في قدرته على البقاء
طافيا
مثل هواء محبوس

: ١٢

أزهو بكلمتي يقينا

أزهو بوجودي اضطرارا

أزهو بفيض محبتي

خيارا أبديا

وأزهو بهذا المنتظر

ووجدا مستحيلا

غواية الصوف أم نزهة الذاكرة؟

: ١

غواية الصوف أم نزهة الذاكرة؟

صمت المكان الأليف

أم رحابة الروح في اتساع الزمان؟

تفاصيل أيامك

أم أصابعك

التي احتشدت بهذا التكوّن

لتغزل؟ .

: ٢

هسيس القماش أم خدش الزمن

هذا الذي ينساب لحنه

في تضاعيف الملك
كلما كان الحديث مؤجلا
منذ ما قبل التاريخ ؟ .

: ٢

كيف تكون البداية
في رحلة الكلام المؤجل إذن ؟
كيف أكون جملي الأولى
لتصير أغنية ..
أو سؤالاً ..
أو ربما ضحكة طويلة ؟ .

: ٣

كيف أقرأ لك هذه القصيدة
فتعرفين أنها قصيدة جديدة ؟
كيف أقرأها
فتعرفين أنها قصيدة ؟

كيف اقرأها

في بهو انتظارك العليل ؟ .

: ٤

كيف أوثت صمتنا باعتراف كهذا

دون أن أنظر في عينيك شبه المغمضتين ؟

كيف أحكي حكايتي الصغيرة

دون أن تسأليني عن التفاصيل غير المهمة؟

أه يا أمي

كيف أحب لأول مرة

وأنت هكذا

أبدا ؟ .

: ٥

حتى وأنا أسمعك اعترافا غير مهم

أستتر بهمسي

وانحني كي التقط مشطا

أسقطته عمدا
أمشط شعري
لعل الكلمات تسقط
من بين أسنان المشط
دون أن أضطر لقطع حوار
لم تستمعي إليه .

: ٦

تجاعيد وجهك
تسرق من قسوته رهبتها
يذوب خوفاي القديم في خطوط الزمن
فتغالبنني رهبة جديدة
كلما همس طبيبك في أذني
بمعلومة جديدة
أو وصية إضافية .

: ٧

لفنجان قهوتي الصباحية
جبروتك القديم
ولواعيدك الطبية
على هامش اهتماماتي الآن
نكهة الضيافة وحدها .

: ٨

اكتملت دائرتي حولك
واكتملت دائرتك حولي
تعالى صوتي في هدوء دمك
وتبدد دمي في أوجاعك الكثيرة
آه يا أنا ..

: ٩

غائتي في الجملة الناقصة
سرّك في الجملة الميتة

ولا جملة مفيدة في حوارنا الأخير ..

: ١٠

بموجد الذكريات الصغيرة

بحكايا مستلة من الدفتر العائلي

وقلبك الكليم

أستبدل أغنية مقترحة ونكتة رائجة ..

: ١١

ليقيني بخسارتك أخيرا

أصلي كي تتأخر النهاية

حتى لا يكون لانتصاري

طعم الدواء ! .

: ١٢

لخبرتي بكل الطرق المؤدية

إلى غضبكِ

أرسم خريطة جديدة
وأدون قصيدتي
على هامشها الضيق .

: ١٣

لتبدد وحشتي ..
لتحرث مفازة جسدي ..
لتنتمي لسؤال غيبيتي ..
ولتكون ذهابي الأول
نحو كلمتي الأخيرة ..
كانت كلمتك الأثيرة !

مجرد سلام

: ١

سلام يتفرق ماؤه بين أصابعي
ينحون حماستي الأبدية
ويخاتل صمتي بصرخة لا معنى لها
سلام أتمناه حقيقيا
وأبذل لحقيقته الآتية بلا ريب
كل هذا الفراغ .

: ٢

سلام يؤثث فراغاته بفراغ جديد
يختار ضحاياه من عشاق اليقين
يلتقط لهم الصور الفوتوغرافية

ويتركهم منشدهين
بوميض اللقطة الأخيرة .

: ٣

سلام أنيق
يرتدي قصائدنا
ويمشي في شوارع الألم الموروث
مزهوا بمجرد قافية قديمة .
يعبر التقاطعات باهتمام متصاعد
يرنو لسمائه البعيدة
ويلوح لطيور تنفض المطر المختبئ تحت ريشها فوق رأسه
يتابع رحلته غير المنتهية .

: ٤

شجرة خضراء
مازالت تنمو بتؤدة ومرح
وقطرات مياه ما زالت تنقط

من الأنبوب المكسور منذ الأزل
وجناح ما زال يرفرف في تلك اللوحة المعلقة على جدار
المطعم القديم
وأغنية ما ...
أشعر أن سلاما سيكون عنوانها المناسب .

المحتويات

- ٩ . ١ . تواضعت أحلامي كثيرا
- 18 . ٢ . مفازة تنتشي بالكلام
- 21 . ٣ وكانها سترحل بعد قليل
- 25 . ٤ . نبتة صغيرة رأيتها هذا الصباح
- 29 . ٥ . عصفورة
- 31 . ٦ . قهوة وبريد
- 38 . ٧ . «الحب كده»
- 49 . ٨ . مرحبا
- 53 . ٩ . لهشاشة المشهد بيننا ..
- 62 . ١٠ . قطة خزفية جميلة
- 66 . ١١ . البطل الحقيقي يلهو وحيدا
- 71 . ١٢ . أربع شرفات منسية
- 73 . ١٣ . لوحتان وحلم
- 75 . ١٤ . للعيد نكهته الأخرى
- 78 . ١٥ . رسائل هاتفية قصيرة
- 85 . ١٦ . غواية الصوف أم نزهة الذاكرة؟
- 92 . ١٧ . مجرد سلام

للشاعرة :

- آخر الحالمين كان (١٩٩٢-١٩٩٠) .
- تغيب فأسرج خيل ظنوني (١٩٩٤) .
- كتاب الأثام (١٩٩٧) .
- مجرد مرآة مستلقية (١٩٩٩) .

موقعها الإلكتروني

www.saadiah.com



تواضعت أحلامي كثيرا

أريدُ ليلاً قصيراً
مُوطَراً بالهُدوءِ
يَنْتهي بموتٍ
لا يَعني أحداً.



9 789953 368924

